# الروح القدس وحياة النسك

## عند القديس أنطونيوس وآباء البرية الأوائل




دار مجلة مرقس

# الروح القُدس وحياة النسك

## عند القديس أنطونيوس

### وآباء البرية الأوائل

دار مجلة مرقس

كتاب: الروح القدس وحياة النسك

عند القديس أنطونيوس وآباء البرية الأوائل

ترجمة وإعداد: رهبان دير القديس أنبا مقار.

الناشر: دار مجلة مرقس.

الطبعة الأولى: ١٩٩٣

مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.

ص.ب. ٢٧٨٠ - القاهرة.



(مقالات سبق نشرها في مجلة مرقس عدد يوليو ١٩٧٨، ويونيو ويوليو ١٩٧٦)

## المحتويات

## مقدمة

منذ أن وضع الرب نفسُهُ أُسسَ النسك المسيحي باعتزاله في البراري القفرة وصومه عنا أربعين يوماً وأربعين ليلة، ارتبط النسك في المسيحية بالامتلاء من الروح القدس، ذلك لأن الرب خرج إلى البرية «ممتلئاً من الروح القدس» (لو٤: ١). لقد صام الرب من أجلنا وذلك بعد أن قبل الروح القدس من أجلنا أيضاً، فقد «**أخرجه** الروح إلى البرية» (مر١: ١٢)، و«**أُصعد** إلى البرية من الروح» (مت٤: ١)، و«كان **يُقتاد** بالروح في البرية» (لو٤: ١، قارن مع رو٨: ١٤: «لأن كل الذين **ينقادون** بروح الله فأولئك هم أبناء الله»).

وهكذا صار الروح القدس هو الذي يجتذب الإنسان المسيحي، أو بحد تعبير الإنجيل «يقتاده» إلى حياة النسك منذ تأسيس سر النسك المسيحي بواسطة الرب نفسه في الجسد من أجلنا. كما صار الروح القدس قائداً لجسد المسيح السري الذي هو الكنيسة، ودافعاً له للحياة النسكية منذ أول أيام المسيحية. فنحن نقرأ في سفر أعمال الرسل أن كنيسة الرسل انطلقت بعد حلول الروح القدس عليها في يوم الخمسين تصوم وتصلي، فيزداد امتلاؤها من الروح القدس، فيدفعها الروح أيضاً إلى المزيد من الصوم والصلاة والأعمال الروحية: «وبينما هم يعبدون الرب λειτουργουντες (وهي تعني العبادة الجماعية الطقسية وليس مجرد الخدمة) ويصومون **قال الروح القدس**: أفرزوا لي برنابا وشاول... **فصاموا** حينئذ وصلوا» (أع١٣: ٢و٣ ترجمة أدق). فالعبادة

أدق). فالعبادة والصوم تجتذب مجيئ الروح القدس، والروح القدس بدوره يزكي حرارة الصوم والصلاة.

وهكذا منذ نشأة الكنيسة ارتبطت ممارسة الصوم والصلاة بالامتلاء من الروح القدس . فمعروف في التقليد الطقسي أن الصوم الأربعيني كان يبدأ قديماً بعد عيد الغطاس مباشرة، وذلك للمحافظة على القيمة الروحية للعلاقة بين الروح القدس والصوم كما كان في حياة الرب نفسه. وإن كانت الكنيسة في العصور اللاحقة قد نقلت موعد الصوم الأربعيني لتجعله متصلاً بأسبوع الآلام، لكنها وضعت أيضاً نظام صوم الرسل الذي يبدأ بعد عيد الخمسين مباشرة، وذلك تخليداً لصوم الكنيسة الأولى (جسد المسيح السري) فور حلول الروح القدس عليها كمثل صوم الرب بعد قبوله الروح من أجلنا.

ولما بدأت الحياة النسكية تأخذ وضعها القانوني في الكنيسة وذلك بنشأة الرهبنة في منتصف القرن الثالث، كان ذلك بدفع حي من الروح القدس نفسه، «فالرهبنة أصلاً فعل غير منطفئ للروح القدس». وهذا واضح جداً في أقوال أنبا أنطونيوس كما سنرى فيما بعد:

[ إن الروح القدس يدفع الجسد للصوم الكثير والسهر والجهاد وبقية الخدم التي هي الثمار الجسدية. وأما النفس فيفتح عينيها أيضاً للتوبة الحقيقية لكي تَطْهُر مع الجسد ويكونان كلاهما في الطهر واحداً لأن هذا هو تعليم الروح القدس] (الرسالة الأولى).

بل وجميع الآباء الأوائل أيضاً بنوا حياتهم النسكية على الامتلاء من الروح القدس. فالقديس أنبا مقار يقول:

[إن ما ينبغي على الراهب هو... أن يكون حاراً كل حين في الروح] (فضائل أنبا مقار ١٧١).

وإيسيذوروس تلميذه المباشر يقول:

[بدون قوة الروح القدس الذي أعطانا الله إياه لإتمام وصاياه والتي تتقوى فينا كل يوم بالتناول من جسده ودمه، لن نتخلص من الخطايا ولن نستطيع أن نقهر الشياطين ولا أن نتقدم في الفضيلة] (بستان الرهبان ص ٢٥٦).

ويقول القديس أموناس تلميذ أنبا أنطونيوس:

[إذا فارقتكم الحرارة الإلهية بعد أن قبلتموها فاطلبوها من جديد وهي تأتيكم. لأن الحرارة الإلهية مثل النار وهي تغيِّر البرودة إلى قوتها الخاصة] (الرسالة الثانية).

ويقول القديس يوحنا الدرجي:

[فمن هو إذاً الراهب الحكيم المخلص إلا الذي احتفظ بحرارته من أن تطفأ، وحتى إلى زمان خروجه لا يكف من أن يُشعل في قلبه ناراً على نار ونشاطاً على نشاط وأشواقاً على أشواق وغيرة على غيرة] (وإن كان القديس يوحنا لا ينص صراحة في هذا القول على الروح القدس؛ إلا أنه من الواضح أنه يتكلم عن إضرام نار الروح القدس في قلب الراهب).

وهكذا استطاع فيما بعد قديس روسيا الأب سيرافيم (القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر) أن يلخص كل التقليد الرهباني الذي استلمه من الذين سبقوه قائلاً:

[إن غاية الحياة الروحية كلها هي اقتناء الروح القدس].

والآن قبل أن نعرض بالتفصيل أقوال القديس أنطونيوس والآباء الأوائل في هذا الموضوع، نود أن نتساءل: ما هو السر في هذه العلاقة السرية الوثيقة جداً بين الروح القدس وأعمال النسك؟

معروف أن الروح القدس ينقل إلى قلوبنا محبة الله التي هي طبيعة الله: «**الله محبة**» (١يو ٤:٨)، «لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا.» (رو٥:٥)

ومعروف جداً لكل من اختبر الحياة النسكية أن العمل النسكي الذي يبدو لأول وهلة صعباً ثقيلاً للإنسان الطبيعي، أي العائش «بحسب الجسد» (رو٨:١٣)، أي بحسب طبيعته الخاصة «لأن الإنسان الطبيعي (أو النفساني) لا يقبل ما لروح الله» (١كو٢:١٤)، نجد أن هذا العمل يصير سهلاً خفيفاً بل وحلواً وشهياً حينما يمارس من أجل حب الله بفعل الروح القدس. وفي هذا يقول القديس أنطونيوس:

[وأنا أعلمكم عملاً آخر يُثَبِّت الإنسان من بدايته إلى نهايته، وهو أن يحب الله من كل نفسه ومن كل قلبه ومن كل نيته ويتعبد له. وعند ذلك يعطيه الله قوة عظيمة وفرحاً، فتحلو له جميع أعمال الله وكل أتعاب الجسد أيضاً والهذيذ والسهر، وحمل نير الرب يصير خفيفاً حلواً] (الرسالة الثامنة).

ذلك لأن محبة الله المنسكبة في قلب الإنسان بفعل الروح القدس (رو ٥:٥) تنقل إليه شيئاً من طبيعة الله التي هي المحبة «الله محبة»، وبالتالي يرتفع الإنسان بهذه المحبة الإلهية فوق حدود طبيعته الخاصة الجسدية الثقيلة المائلة إلى تراب الأرض وإلى العودة إلى تراب الأرض، وينطلق إلى فوق بفعل قوة الله الطبيعية التي هي المحبة المنسكبة في قلبه بالروح القدس. وهذا هو ما يدعوه الآباء الأوائل بأجنحة الروح المدعوة أيضاً بـ«نار الأعمال الصالحة» (الرسالة السابعة) التي هي نفسها «النار التي جاء الرب يسوع ليلقيها على الأرض» (الرسالة الثالثة) التي هي نار الروح القدس، ذلك «الروح الناري العظيم» (الرسالة الثامنة) الذي يجعل كل عمل الله «حلواً خفيفاً» للإنسان، بل «وأحلى من العسل وشهد العسل»، كما سنرى في أقوال القديسين أنبا أنطونيوس وأنبا مقار وأنبا أموناس.

والآن لنعرض بالتفصيل هذه الأقوال المحيية، وقد بوبناها تحت العناوين التالية:

**١ - الروح القدس والتوبة.**

**٢ - الروح القدس والنسك.**

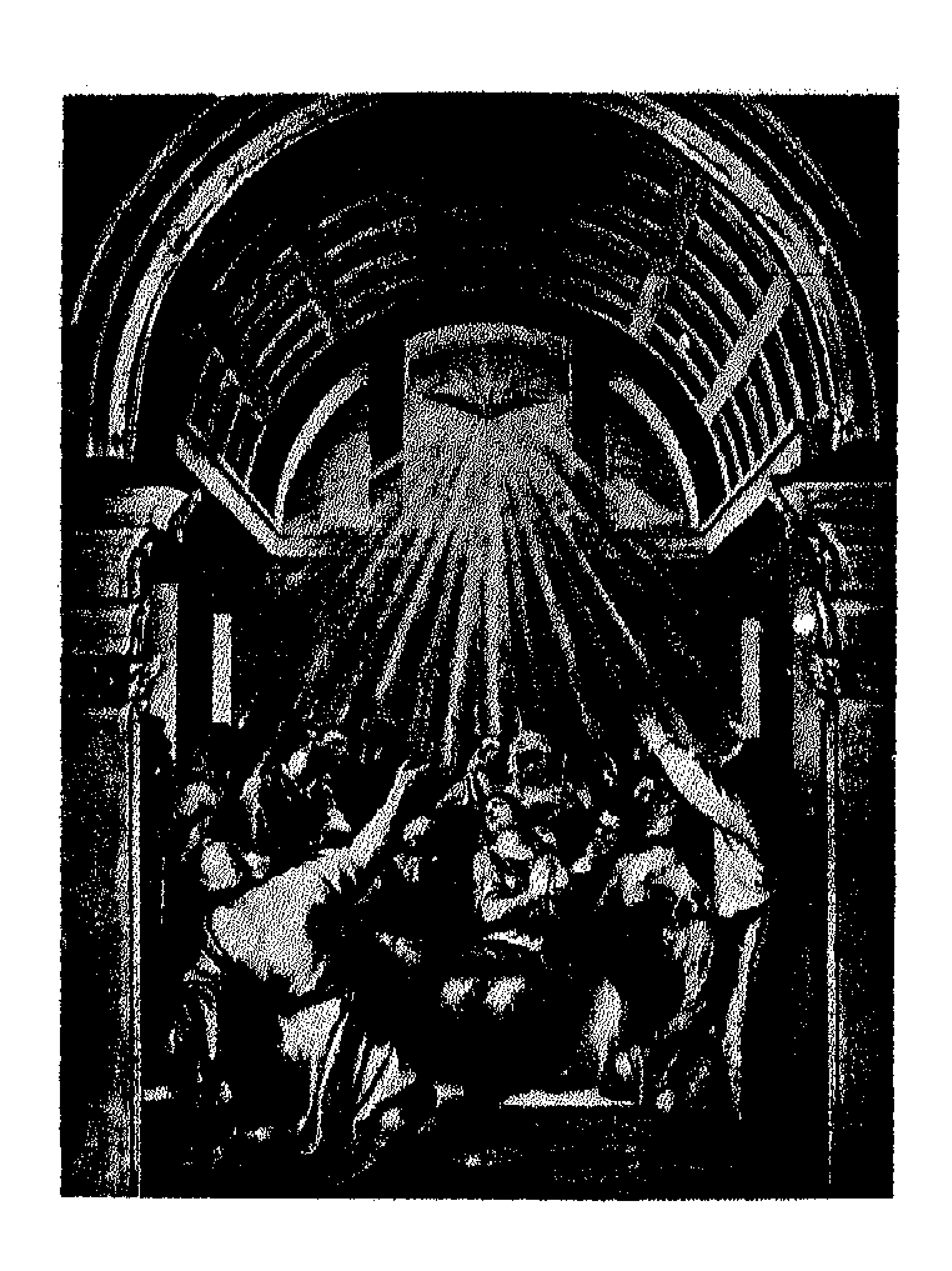
**٣ - مبدأ توافق الروح القدس مع الأعمال الصالحة.**

**٤ - الروح القدس يسلم الإنسان للتجربة كوسيلة للنمو الروحي.**

**٥ - الروح القدس والاستقرار الروحي النهائي.**

على أننا نود أن ننبه ذهن القارئ إلى أن هذا التقسيم هو فقط لسهولة عرض فكر الآباء الأوائل في هذا الموضوع، وليس المقصود منه تحديد فترات زمنية عن حياة النسك، فالروح القدس حرٌّ في أن يجعل

الإنسان المبتدئ يتذوق - ولو إلى حين - ملء الاستقرار الروحي النهائي، أو يجعل الإنسان المتقدم يعود إلى ما تعلمه من تدبير التوبة الأول في تنقية حياته وتعديل مساره كلما انحرف.



## ١ - الروح القدس والتوبة

الروح القدس هو الدافع الأول لحياة التوبة، فهو الذي يبدأ بدعوة الإنسان سراً إلى التوبة ويجعله يشتاق إليها ويسهل أمامه طريقها بل ويجعلها «تحلو له»:

[إن الروح القدس **يدعو** قبل كل شيء الذين دخلوا بكل قلوبهم **فيسهل** عليهم كل الأمور **حتى يحلو لهم الدخول في التوبة**] (رسالة أنطونيوس الأولى).

فالروح القدس يجعل التوبة وتنقية النفس من الداخل تتم «براحة»:

[الذي يكون طالباً للخلاص بالحقيقة، ينزع عنه الشهوات **براحة** ويتمسك بالطهارة، لأن الروح قد صار له ملجأ ويزيده قوة ويطفئ عنه كل الشرور المتحركة عليه] (الرسالة الأولى).

فالروح القدس هو معلم التوبة الأول الذي منه تتلقن النفس دروس التوبة الأولى لأن التوبة هي «تعليم الروح القدس»:

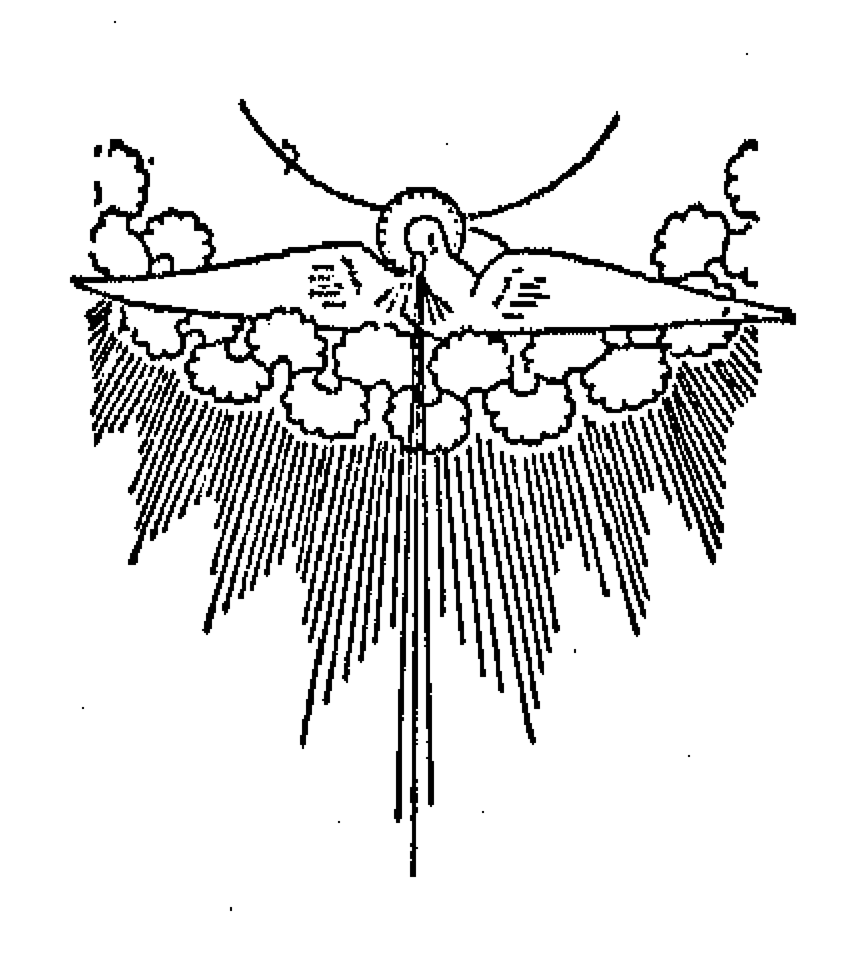
[وتنفتح عينا النفس أيضاً للتوبة الحقيقية لكي تطهر مع الجسد ويكونان كلاهما في الطهر واحداً لأن هذا هو **تعليم الروح القدس**...

وهذا الروح، إن كانت له شركة مع العقل لأجل حفظ الوصايا التي تعلمها، فإنه **يرشده لينزع الأوجاع عن النفس**، الواحدة بعد الأخرى، التي قد امتزجت بالجسد...

فإن الروح القدس يرشد العقل إلى تطهير النفس والجسد كليهما من هذه الحركات...

وهذه الأقوال التي قلتها هي لأجل اتفاق الجسد والنفس في **التوبة**. فإذا العقل وعي هذه النعمة، عند ذلك يطلب **بالروح القدس** فيبتدئ يطرد عن النفس كل المصاعب التي تأتي عليها من شهوات القلب] (رسالة أنطونيوس الأولى).

[**إن الروح القدس المأخوذ في المعمودية يعطينا العمل بالتوبة** ليردنا ثانية إلى رئاستنا الأولى ونرث الميراث الذي لا يزول] (الرسالة السابعة).



# ٢ - الروح القدس والنسك

الروح القدس هو الدافع الأول للنسك المسيحي:

[أما الجسد فيدفعه الروح القدس للصوم الكثير والسهر والجهاد وبقية الخدم التي هي الثمار الجسدية...

ويتعلم الجسد النسك من الروح القدس كما قال الرسول «إني أُخضع جسدي وأستعبده»] (الرسالة الأولى).

على أن النسك المعمول بالروح القدس لا يكون صعباً ثقيلاً بل وخفيفاً كما قال الرب نفسه «إن نيري هين وحملي خفيف» (مت ١١: ٣٠):

[**فإذا سكن فيهم روح الله فإنه يريحهم** في جميع أعمالهم **ويحلو لهم حمل نير الله** كما كتب في الإنجيل احملوا نيري عليكم، ويصيرون لا يتعبون قط لا في عمل الفضائل ولا في الخدمة ولا في سهر الليالي، ولا يغضبون من شتيمة، ولا يخافون البتة...بل يكون فرح الله معهم ليلاً ونهاراً...] (الرسالة الثامنة عشرة).

وفي ذلك يقول أموناس تلميذ أنبا أنطونيوس:

[حينما تبتعد النفس عن الناس وعن كل تسلية.. فإن روح الله يسكن فيها ويغير كل تعبها إلى فرح ومسرة] (الرسالة الأولى: ١).

فعلامة النسك المسيحي الصحيح المعمول بالروح القدس هي أن يتحول إلى فرح ومسرة ويكون محبباً للإنسان وحلواً شهياً أكثر من العسل ومن شهد العسل. وفي ذلك يقول القديس أنبا مقار:

[**إن الروح القدس يجعل عمل الله للإنسان أحلى من العسل ومن شهد العسل** سواء كان تعب الأصوام أو سهر الليالي أو السكون أو خدمة الآخرين أو الصدقة، فإن كل أمور الله تصير حلوة] (عظة ٥٧:١).

ويتفق معه القديس أموناس قائلاً:

[**إن حلاوة الحرارة الروحية** (أي حرارة الروح القدس) **أحلى من العسل ومن شهد العسل**... فاقتنوا هذه القوة الإلهية (قوة الروح القدس) لكي تقضوا كل حياتكم في الحرية («حيث روح الرب فهناك حرية» ٢كو٣:١٧)، ويصير كل عمل الله سهلاً لديكم] (الرسالة الثانية ١و٢).

والقديس أنبا أنطونيوس نفسه يقول:

[اقتنوا لكم هذه القوة (قوة الروح) لكي تخاف منكم الشياطين وتخف عليكم الأتعاب التي تصنعونها وتحلو لكم الإلهيات لأن حلاوة حب الله أحلى من الشهد] (الرسالة التاسعة).

وفي هذا القول الأخير نرى الأنبا أنطونيوس يتكلم عن الحب الإلهي كمرادف لقوة الروح، ولا عجب في ذلك، فإن الحب الإلهي هو من مفاعيل الروح القدس الأساسية فينا: «لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا» (رو٥:٥). لذلك نجد الأنبا أنطونيوس ينسب للحب الإلهي كل ما ينسبه للروح القدس أيضاً فيما

يختص بالأعمال النسكية. فالحب الإلهي يجعل نير الرب خفيفاً حلواً ويحول النسك إلى فرح ومسرة ويجعله أحلى من العسل ومن شهد العسل:

[وأنا أعلمكم عملاً آخر يُثَبِّت الإنسان من بدايته إلى نهايته وهو **أن يحب الله من كل نفسه ومن كل قلبه ومن كل نيته** ويتعبد له. وعند ذلك يعطيه الله قوة عظيمة وفرحاً **فتحلو له جميع أعمال الله** وكل أتعاب الجسد أيضاً والهذيذ والسهر، وحمل نير الرب يصير عليه خفيفاً حلواً] (الرسالة ١٨).

[والآن يا أحبائي بالمسيح أنا أعلم أنكم تحبون الله، لكن احرصوا أن يكون ذلك من كل قلوبكم لكي تستطيعوا أن **تقتنوا قوة الله** وتجيزوا بقية حياتكم بسرور **وتخف عليكم أعمال الرب**...

فيا أولادي المباركين اجتهدوا في اقتناء تلك القوة حتى تصنعوا بها جميع أعمالكم براحة وخفة] (الرسالة التاسعة).

فالوسيلة الأساسية التي بها يجعل الروح القدس كل الأعمال النسكية سهلة وخفيفة علينا هي أن يعلن لنا داخل قلوبنا مقدار محبة المسيح الكثيرة التي أحبنا بها ومقدار آلامه الإلهية الفائقة التي احتملها من أجلنا على الصليب والتي يصغر ويهون أمامها كل ما يقدمه الإنسان. وهذا من صميم عمل الروح القدس لأن عمله الأساسي فينا هو أن يشهد للمسيح داخل قلوبنا: «هو يشهد لي..يأخذ مما لي

ويخبركم» (يو ١٥:١٦؛ ١٦:١٤)، ويعرفنا بمقدار محبته الفائقة المعرفة(١).

وقد نال أنبا أنطونيوس في أواخر حياته استنارة غير عادية من الروح القدس كشفت له «أعماق ما صنعه الرب من أجلنا» فصار من بعدها ينوح ويبكي بقية أيام حياته من شدة الحب معتبراً كل أعماله كلا شيء:

[وأنا الشقي أعلمكم أيضاً أن ربنا قد نبه عقلي من نوم الموت بنعمته وقد صار لي نوح وبكاء مدة ما بقي لي من هذا الزمان اليسير على الأرض، لأني أفكر ما هو الذي نعطيه للرب عوضاً عن الذي صنعه معنا؟!] (الرسالة السابعة).

[فلنبكِ الآن يا أولادي أمام صلاحه ونقول كما قال المزمور: ماذا نعطي الرب عوضاً عن الخيرات التي صنعها معنا؟] (الرسالة الخامسة).

[واعلموا أن كل أعمالنا التي نقدمها للرب بالنعمة التي أعطاها

---

(١) «تتأيدوا بالقوة بروحه...لتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة» (أف ٣:١٦-١٩) وهذه من الآيات المحببة لدى القديس أنطونيوس التي يذكرها في رسائله. انظر مثلاً الرسالة الحادية عشرة حيث يقول إن الذين نالوا هذه المعرفة [لا يصير لهم تعب في شيء ولا يجزعون من خوف ويكون فرح ربنا معزياً لهم ليلاً ونهاراً وأعماله تصير لهم حلوة على الدوام في سائر الأوقات]. انظر أيضاً رسالة أموناس الثالثة حيث يستشهد بنفس هذه الآية، ويعلق عليها قائلاً: إن الذين نالوا هذه المعرفة (معرفة المسيح الفائقة المعرفة) التي يدعوها «النظر الفوقاني» [لا يتعبون في شيء ولا يخافون البتة بل يكون فرح الله معهم ليلاً ونهاراً ويصير عمل الله لهم أحلى من العسل ومن شهد العسل والله يكون دائماً معهم].

لنا لا تقوم مقابل تواضعه هو عنا] (الرسالة السابعة).

وبنفس هذه الروح أجاب أنبا إيسيذوروس في نهاية حياته القائلين له: «أيها الأب أرح نفسك لأنك قد شخت»، أجابهم قائلاً:

[لو أحرقوا إيسيذوروس بالنار وذرُّوا رماده في الهواء فلن يكون لي فضل لأن ابن الله من أجلي نزل إلى الأرض] (بستان الرهبان ص٦٢)

هكذا كان جميع الآباء الأوائل يعتبرون كل أعمالهم كلا شيء بسبب انفتاح عيون قلوبهم بفعل الروح القدس على مقدار آلام الرب الفائقة التي احتملها من أجلنا، ومقدار محبته الكثيرة التي أحبنا بها، والتي يهون أمامها ويصغر كل ما يقدمه الإنسان...



## ٣ ـ مبدأ توافق الروح القدس مع الأعمال الصالحة

وهـذا المبـدأ معـروف عنـد الآبـاء بكلمـة συνεργεια = synergy، وهـذه الكلمـة يونانيـة مكونـة مـن كلمتـين: συν أي «مـع» و εργον أي «عمـل»، ومعناهـا «عمـل مشـترك»، وهـي مـأخوذة مـن رو٨:٢٨، حيث يعلق أنبا أنطونيـوس على هـذه الآيـة قـائلاً:

[لذلـك يـا أولادي يجب أن نتمسـك بنسـكنا، وأن لانتغـافل. لأن الله عـامل معنـا فيـه، كمـا هـو مكتـوب «كـل الذيـن يختـارون الخـير يعمـل الله معهـم συνεργει للخـير» (رو٨:٢٨)] (حيـاة أنطونيـوس١٩).

ومؤدى هـذا التوافـق بـين الـروح القـدس والأعمـال الصالحـة أن الـروح القـدس يضـرم فينـا الأعمـال الصالحـة، وأن الأعمـال الصالحـة بدورهـا تزيـد مـن تـأجج الـروح القـدس في قلوبنـا. وهكـذا بهـذا التفـاعل المتبـادل بـين قـوة الـروح والعمـل الصـالح (أي بـين النعمـة والجهـاد) ينمـو الإنسـان روحيـاً.

وقـد سبق أن عرضنـا عـدة أقـوال تبـين أن الـروح القـدس يسـهل علينـا الجهاد ويدفعنـا إلى المزيـد منـه، وأهمهـا قـول القديـس أنطونيـوس:

[فـإذا سـكن فيهـم روح الله فإنـه يريحهـم في جميـع أعمـالهم ويحلـو لهم حمل نـير الله] (الرسـالة الثامنـة عشـر).

وقول أنبا مقار:

[إن الـروح القـدس يجعـل عمـل الله للإنسـان أحلـى مـن العسـل ومـن شـهد العسـل] (عظـة ٥٧: ١).

فالروح القدس إذاً يُسهِّل علينا الجهاد ويدفعنا إلى المزيد منه، ولكن العكس أيضاً صحيح، أي أن المزيد من الجهاد في الأعمال الصالحة يجتذب إلينا مزيداً من انسكاب الروح القدس في قلوبنا. وهذا هو ما يقوله أنبا أنطونيوس:

[فإذا أردتم أن تقبلوه – هذا الروح الناري العظيم – فقدموا أولاً **أتعاب الجسد** وتواضع القلب وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار] (الرسالة الثامنة).

[**إذا أقمعنا الجسد واستعبدناه** للنفس فإن الأفكار الجسدانية التي محبتها عداوة لله (رو٨:٧) تموت بذلك الضعف، وتضيء حينئذ النفس وتصير **هيكلاً للروح القدس**] (الرسالة السابعة عشرة).

وفي ذلك يقول أنبا مقار:

[**أحبوا إذاً حلاوة الجهاد** لأن التعب والحرص يأتي بالإنسان إلى النياح ويشفي جميع أوجاع قلبه ويجلب له خيرات السماء **وفي النهاية يصير مسكناً للروح القدس**] (الخطاب الأخير لأنبا مقار).

إذاً فالروح القدس يدفعنا للجهاد، والجهاد بدوره يزيد من انسكاب قوة الروح فينا. وهذا التأثير المتبادل بين الجهاد وقوة الروح نجده واضحاً في القول التالي للقديس أنطونيوس:

[وأما أنتم يا أولادي المجاهدين، اجتهدوا...فتأتي قوة الله وتعينكم وتَثبُت عندكم وتعطيكم نشاطاً وحرارة في كل حين..] (الرسالة العاشرة).

فالجهاد يجتذب إلينا قوة الله، وقوة الله بدورها تزيد جهادنا نشاطاً وحرارة، وبهذا التأثير المتبادل بين الجهاد وقوة الروح القدس ينمو الإنسان روحياً:

[اجعلوا هذا الجسد مجمرة ترفعون فيها جميع أفكاركم ومشوراتكم الرديئة. وتطلبون منه أن ينعم عليكم بإتيان ناره اللامادية لتحرق كل ما في تلك المجمرة وتطهرها...وحينئذ تنظرون أثر إنسان طالعاً بالماء من الينبوع الإلهي ويمطر لكم المطر الروحاني الذي للروح البارقليط. **فإذا ما نلتم يا أولادي هذه المواهب الفاضلة فلا تظنوا أنها من أعمالكم؛ بل هي قوة مقدسة مشتركة معكم في جميع أعمالكم**] (الرسالة السادسة).

فهذه القوة المقدسة «المشتركة معنا في جميع أعمالنا» (وهذا من صميم مبدأ الـ synergy) هي التي تكون قد دفعت الإنسان منذ البداية إلى أن يجعل الجسد مجمرة، ويرفع أفكاره إلى فوق، ويتخلص من مشوراته الرديئة. فلما فعل ذلك بإخلاص، استعلن له المزيد من هذه القوة الإلهية، وذلك في صورة «المطر الروحاني الذي للروح البارقليط». وهكذا يتضح جلياً أن كلاً من الجهاد وقوة الروح لهما تأثير إيجابي كلٌّ على الآخر، وأنه بهذا التأثير الإيجابي المتبادل بينهما يحدث نمو الإنسان روحياً.

ولكن ما ينبغي أن نلاحظه في هذا التفاعل المتبادل هو أن الروح لا يعطى من أجل استحقاق العمل الصالح، ولكن من أجل نعمة الله المجانية ورأفته على أتعاب الإنسان:

[يا أولادي إن كل من لم يبغض ما يختص بالطبيعة الهيولانية الأرضية وكل أعمالها بكل قلبه، ويبسط عقله نحو العلا لآب الكل، فلا يستطيع أن يخلص. **ومن يعمل هكذا فإن ربنا يتراءف على أتعابه وينعم له بالنار الغير مرئية** واللامادية لتحرق كل الأوجاع التي فيه وتطهر عقله، **وعند ذلك يسكن فيه الروح القدس** ويكون معه] (الرسالة الخامسة).

فالعمل ضروري ولكن نار الروح القدس لا تُعطى للإنسان مقابل استحقاق العمل، ولكن تُنعم له – على حد قول القديس – من أجل «رأفة الله» وتحننه المجاني على أتعاب الإنسان. فالعمل بذاته غير قادر أن يجذب إلينا نار الروح ولكنه فقط يحرك قلب الآب نحونا وحينئذ ينعم الله علينا بهذه النار كنعمة مجانية من أجل تحننه هو وليس من أجل استحقاقنا:

[ومن الآن فأنا أطلب من إلهي بسببكم ليلاً ونهاراً لكي ما يعطيكم مواهبه التي أعطانيها بنعمته فقط لا باستحقاق فيَّ] (الرسالة الثامنة).

ونفس هذا المعنى نجده أيضاً في الرسالة التاسعة حيث يقول عن «القوة الإلهية»:

[إن كل من تاجر فيها فإنه ينالها **بعطية الله له**].

فالمتاجرة ضرورية؛ غير أن قوة الروح لا تُعطى مقابل هذه المتاجرة بل كعطية مجانية من الله. إن العمل ضروري لأن الروح لا يستطيع أن يعمل في إنسان لا يجد منه تجاوباً:

[وأنا أعرف أناساً قبلوه ولما لم يكملوا هذه الفلاحة لم يثبت فيهم] (الرسالة الثامنة).

[لأن بولس الرسول يقول «لا تطفئوا الروح». واعلموا يا أولادي أن الروح لا ينطفئ منا إلا بالكلام الباطل والمزاح، وأعمال أخرى كثيرة لا يمكن أن أكتبها واحدة فواحدة] (الرسالة الحادية عشرة).

[فإن روح الله لا يسكن في نفس أو جسد خاطئ لأنه قدوس وبعيد عن كل غش] (الرسالة الرابعة).

[والروح القدس لا يسكن في نفس متكبرة؛ بل في أنفس المتواضعين الذين أفكارهم جميعها هي في الكمال] (الرسالة التاسعة عشرة).

فإذا وجد الروح القدس تجاوباً من جهة الإنسان فإنه يستريح في الوجود معه:

[قال أنبا أنطونيوس عن القديس بامو: **إن المخافة التي فيه جعلت الروح القدس يستريح في الوجود معه**] (الرهبنة القبطية ص ١٩٥).

[فإن ذلك الروح الناري يسكن في القلوب المستقيمة] (الرسالة الثامنة).

[فالذين يطلبون الطهارة بهذا المقدار فإن روح الله يهديهم إلى طرقه المستقيمة] (الرسالة الأولى).

**فحينما يتقابل الروح القدس مع إرادة الإنسان حينئذ يتم التفاعل المتبادل بينهما لأن قوة الروح تزيد حرارة الأعمال**

الصالحة، والأعمال الصالحة بدورها تجتذب مزيداً من نار الروح، وبزيادة هذا التفاعل المتبادل ينمو الإنسان بلا نهاية إلى أن «يصير كله كالنار». وهذا هو ما صار للأنبا أنطونيوس، فقد شهد عنه القديس شيشوي قائلاً:

[لو كان لي فكرٌ واحدٌ من أفكار أبَّا أنطونيوس لكنت قد صرت كلي كالنار] (الرهبنة القبطية ص ٢٥٥).

وفي هذه الدرجة يزداد الالتحام بين نار الروح القدس والجهاد في الأعمال الصالحة حتى يصعب التمييز بينهما ويصيران كأنهما شيء واحد، فكل عمل صالح إنما يتم بدفع من الروح القدس، وكل انسكاب جديد للروح يترجم فوراً بازدياد في حرارة الأعمال الصالحة.

لذلك نجد القديس أنطونيوس يشير بلفظ النار تارة إلى «نار الأعمال الصالحة»، وتارة أخرى إلى «نار الروح القدس».

فالنار هي نار الأعمال الصالحة:

[إن يوحنا عمد بالماء للتوبة ليجتذبنا إلى معمودية ربنا يسوع الذي عمد بالروح القدس والنار. أما النار فهي نار الأعمال الصالحة...] (الرسالة السابعة).

وهي بعينها نار الروح القدس:

[هذا الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا، اقبلوه أنتم أيضاً] (الرسالة الثامنة).

وفي قول واحد يجمع المعنيين معاً:

[وكان سبب صعود – القديسين – إلى السماء هو **النار غير المرئية التي هي حرارة الأعمال الصالحة** التي اشتعلت في قلوبهم...فأجنحة النفس المتعبدة للرب هي **قوة نار الله** التي بها تطير إلى العلو] (الرسالة الثامنة عشرة).

ففي هذا القول يشير القديس بلفظ النار إلى «نار الأعمال الصالحة» وفي نفس الوقت إلى «قوة نار الله»، أي نار الروح القدس، وكأنهما واحد. ففي الحياة الروحية السليمة يصير الالتحام كاملاً بين الروح القدس والعمل الصالح أي بين النعمة والجهاد، وبالتالي تصير كل المناقشات حول الجهاد والنعمة بلا معنى. فالشيء الوحيد الذي يهم الأنبا أنطونيوس ليس هو أن يناقش أولوية الجهاد أو أولوية النعمة، بل أن يحث أولاده بكل ما يملك من دالة أبوية عليهم أن يحافظوا بكل قوتهم على «هذه النار المعطاة لهم من الرب» التي هي في نفس الوقت نار الروح القدس ونار الأعمال الصالحة:

[فلا تدعوا قوة هذه النار تُنزع منكم، لأن حروباً كثيرة يثيرها الشيطان ليخمد **هذه النار المعطاة لكم من الرب** لأنه يعلم أن لا قوة له عليكم طالما كانت هذه النار فيكم] (الرسالة الثامنة عشرة).

ولهذا السبب لايكف القديس أنطونيوس من أن يصلي في الليل والنهار من أجل أولاده، لكي يزدادوا في اقتناء هذه النار:

[أطلب بسببكم من الله، لكي النار التي ألقاها الرب يسوع على الأرض يلقيها في قلوبكم] (الرسالة الثالثة).

[وأنا أطلب أن تدوم هذه الحرارة فيكم دائماً لأنها نار حقيقية وليس أفضل منها...] (الرسالة العاشرة).

[وأنا أيضاً أبوكم أجتهد معكم وأطلب لأجلكم أن تقبلوه - هذا الروح الناري العظيم - لأني عارف أنكم كاملون وقادرون على قبوله...

وأما أنا فطلبتي الآن ليلاً ونهاراً أن تكون فيكم عظمة لذة الروح الذي قد قبله جميع الأطهار] (الرسالة الثامنة).

ويشترك معه تلميذه القديس أموناس في حث أولاده الرهبان على المحافظة على هذه النار على الدوام:

[إذا فارقتكم **الحرارة الروحية** - أي حرارة الروح القدس - بعد أن قبلتموها، فاطلبوها من جديد وهي تأتيكم. **لأن الحرارة الإلهية مثل النار وهي تغير البرودة إلى قوتها الخاصة**] (رسالة أموناس الثانية).



# ٤ – الروح القدس يسلم الإنسان للتجربة كوسيلة للنمو الروحي

لقد صار المسيح له المجد في حياته الأرضية مثالاً لنا في كل شيء بصفته آدم الثاني رئيس جنسنا الجديد. لذلك اعتبرت تجربته على الجبل في التقليد المسيحي مثالاً أعلى للتجارب التي تصيب كل ناسك مسيحي. فلم يكف الآباء الأوائل من أن يتأملوا في عبارات إنجيل التجربة ليستخلصوا منها الحقائق الروحية التي تهم كل ناسك مسيحي في مواجهته للتجارب.

إن أول عبارة تقابلنا في إنجيل التجربة هي: «ثم أُصعد يسوع إلى البرية من **الروح ليجرب من إبليس**» (مت ٤: ١).

فالذي يجرب الإنسان هو الشيطان، ولكن الذي يسلم الإنسان للتجربة هو الروح القدس، وهذا في حد ذاته أمرٌ معزٍ ومشجع لأنه يكشف لنا أن الغاية من التجربة إيجابية تماماً، لأن كلّ ما يفعله الروح هو إيجابي بكل تأكيد. فالروح القدس لا يسلمنا للتجربة لكي ننهزم؛ بل على العكس لكي نغلب فيها فنتقوى بالأكثر وننمو روحياً وننال نصيباً أعظم من «قوة الروح». فإنجيل التجربة ينتهي بهذه العبارة الجميلة: «ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل...» (لو ٤: ١٤). ولم يمل الآباء الأوائل من أن يتأملوا في جميع هذه المعاني كما سنرى في الأقوال التالية.

يقول أنبا أنطونيوس:

[**إن التجارب لا تأتي بقوة إلا على الذين قد قبلوا الروح القدس**، لأنهم عند قبولهم الروح تأتي التجارب عليهم من الشيطان **لكون الروح القدس يطلقه عليهم**، لأن الشيطان ليس له سلطان أن يغصب أحداً من المؤمنين إلا إن كان يُعطى ذلك من جهة الروح القدس...

وربنا يسوع لما أخذ ما يختص بنا، صار مثالاً لكي يعلمنا كل حين أن نعرف الحق. فإنه لما اعتمد حل الروح القدس مثل حمامة، **ثم أخرجه الروح إلى البرية ليجرب من إبليس**، ولما جربه بكل التجارب لم يقوَ عليه كما قيل في إنجيل لوقا من أجله هكذا: فلما أكمل إبليس كل التجارب مضى عنه إلى حين، **ورجع يسوع إلى الجليل بقوة الروح**. وهكذا **كل الذين ينالون الروح القدس يقويهم ويعطيهم قوة عظيمة بزيادة** ويرفعهم ويحفظهم من كل الأشياء] (الرسالة التاسعة عشرة).

والقديس أموناس يكاد يكرر كلمات معلمه القديس أنطونيوس بالحرف الواحد:

[إنكم تعرفون أن الإنسان لا يسلَّم للتجربة إن لم يكن قد قبل الروح. فمتى قبل الروح فحينئذ يسلم ليجرب من إبليس. ولكن ممن يُسَلَّم؟ من روح الله. لأن إبليس لا يستطيع أن يجرب المؤمنين إن كان الله لا يسلمهم إليه.

فلما اعتمد ربنا حينئذ اقتاده الروح إلى البرية ليجرب من إبليس ولم يقدر إبليس أن يضره بشيء. ثم إن قوة الروح بعد التجارب تعطي القديسين نمواً جديداً وقوة أعظم(٢)] (رسالة أموناس السابعة).

فالتجربة هي الوسيلة الوحيدة للنمو الروحي:

[إن لم تأتِكم أية تجربة لا خفية ولا ظاهرة فلا تستطيعون أن تتقدموا عن المقدار الذي وصلتم إليه...

فإن جميع القديسين لما طلبوا أن يزداد إيمانهم قد دخلوا في التجارب...

فاصبروا إذاً على التجارب حتى تتغلبوا عليها لأنكم إذا ما غلبتموها فإنكم تنالون فائدة عظيمة ونمواً في جميع فضائلكم ويُعطى لكم فرح سماوي ما كنتم تعرفونه من ذي قبل] (رسالة أموناس الرابعة).

والفتور الروحي يُعتبر أول تجربة يسمح الله بأن تقابل كل ناسك في بداية حياته بعد مضي فترة الغيرة الأولى. ولكثرة شيوع هذه التجربة نجد كلاً من القديسين أنطونيوس ومقاريوس وأموناس يتكلم عنها بالتفصيل. ولكن الأمر المعزي والمشجع حقاً هو أن نجد كلاً منهم بلا استثناء يعتبر أن هذه التجربة مرتبة من الله من أجل غاية إيجابية صرفة وهي أن الناسك يتغلب عليها فينتقل إلى درجة أعلى،

---

(٢) يشير بذلك إلى الآية «ثم رجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل» (لو ٤:١٤).

وحينئذ «يكون روح الله معه في كل حين»، «ويعطيه مسرة أعظم من الأول وقوة أكثر من الأول». فالقديس أموناس يقول:

[اعلموا أن الروح القدس يبدأ بإعطاء المسرة في العمل الروحي لذوي القلوب النقية. ولكن بعد أن يعطيهم المسرة والحلاوة، حينئذ ينسحب ويتركهم، وهذه هي علامته، فهو يفعل هكذا في البداية مع كل نفس تطلب الله: إنه ينسحب ويترك الناس ليعلم إن كانوا يطلبونه أم لا...

ولكن إذا صلّوا إلى الله بالدموع والأصوام حينئذ يرى الله الصالح أنهم باستقامة قلب يطلبونه وينكرون مشيئاتهم الذاتية، **وحينئذ يعطيهم مسرة أعظم من الأولى ويقويهم أكثر من الأول وهذه علامة عمله مع كل نفس تطلب الله**] (رسالة أموناس الرابعة).

ويقول القديس أنبا مقار بنفس هذا المعنى:

**[إن الروح القدس يجعل عمل الله للإنسان أحلى من العسل ومن شهد العسل سواء كان تعب الأصوام أو سهر الليالي أو السكون أو خدمة الآخرين أو الصدقة، فإن كل أمور الله تصير له حلوة. ولكن متى علّمه كل ذلك فإنه يسلمه إلى التجربة وحينئذ كل ما كان له حلواً يصير له ثقيلاً وصعباً...**

فإذا قاوم الإنسانُ الشيطانَ في هذه التجربة الأولى(٣) وغلبه فإن الله يعطيه حرارة متصلة رزينة وبدون اضطراب. لأن الحرارة

---

(٣) يشير أنبا مقار هنا إلى أهمية الانتصار على «**التجربة الأولى**» لأنه معروف في الحياة الروحية أن النصرة تولد النصرة والفشل يولد الفشل.

الأولى كانت مندفعة ومشوشة وغير منتظمة وأما الثانية فهي أفضل، وهي تولد الرؤيا. والآن أيها الأبناء اقتنوا هذه الحرارة الثانية لكي تخف عليكم جميع الأشياء] (العظة السابعة والخمسون ١و٣و٤).

وكذلك أيضاً في رسالته إلى أولاده الروحيين يقول بخصوص القوة التي يمنحها الله لمن يتغلب على التجارب:

[وإن لم يكلّ الإنسان أمام هذه المحاربات فإن الله الرؤوف والرحوم يرسل له **قوة مقدسة** (قوة الروح لو ٤:١٤؛ وأف ٣:١٦) ويُثبّت قلبه ويعطيه الفرح والنياح والقدرة على أن يقوى على أعدائه بحيث أن هجومهم عليه لا يخزيه لأنهم يخافون القوة الساكنة فيه: هذه التي قال عنها القديس بولس: «جاهدوا فتنالوا قوة»(٤)] (الرسالة: ٩).

ويقول أنبا أنطونيوس إن تجربة الجفاف الروحي تقابل حتى السالكين في طريق الحب الإلهي، وأن الدافع لهذه التجربة هو «محبة ربنا للبشر» وأن الغاية منها هي «أن يزدادوا في النمو»:

[وأنا أعلمكم عملاً آخر يُثبّت الإنسان من بدايته إلى نهايته وهو أن يحب الله من كل نفسه ومن كل قلبه ومن كل نيته ويتعبد له. وعند ذلك يعطيه الله قوة عظيمة وفرحاً فتحلو له

---

(٤) ربما يقصد القديس بقول الرسول بولس «جاهدوا لتنالوا قوة» قوله في أفسس ٣:١٦: «لا تكلوا في الشدائد...لكي تتأيدوا بالقوة بروحه»، على مثال الرب الذي لما تغلب على التجارب «رجع بقوة الروح إلى الجليل» (لو ٤:١٤).

جميع أعمال الله مثل الشهد وكل أتعاب الجسد أيضاً والهذيذ والسهر، وحمل نير الرب يصير عليه خفيفاً حلواً.

ثم **لأجل محبة ربنا للبشر** يطلق عليه أشياء مضادة لتلك **حتى لا يتعظم بل يثبت في الجهاد ويزداد في النمو** أي أن غاية التجربة هي النمو الروحي - فعوضاً عن القوة ، يطلق عليه ثقلاً وضعفاً، وعوضاً عن الفرح حزناً، وعوضاً عن الراحة والهدوء قلقاً، وعوضاً عن الحلاوة مرارة، وبكثير من مثل هذه يصاب محب الله. **فإذا تقوى في الجهاد وغلب فإن روح الله يكون معه في كل شيء ويقويه**] (الرسالة الثامنة عشرة).

فالنتيجة النهائية للتجربة حينما يتغلب عليها الناسك هي أن «**روح الله يكون معه في كل شيء ويقويه**»، وهذا بعينه هو ما حدث للرب وهو عائد من جبل التجربة، كمثال أول لنا: «فرجع يسوع **بقوة الروح** إلى الجليل» (لو ٤ : ١٤).



## ٥ – الروح القدس والاستقرار الروحي النهائي

### عهد الروح القدس مع النفس:

بعد أن يتعرض الإنسان لمختلف التجارب ويقوى عليها بقوة الروح حينئذ يدخل في مرحلة استقرار روحي يدعوها أنبا مقار «عهد الروح القدس». ففي رسالته إلى أولاده، بعد أن وصف مختلف التجارب التي يتعرض لها الناسك، يقول:

[وبعد هذا كله – مختلف التجارب السابقة – **يقطع الباراقليط عهداً** مع نقاوة قلبه وثبات نفسه وقداسة جسده وتواضع روحه، فيجعله يتجاوز كل الخليقة ويعمل فيه بحيث أن فمه لا يتكلم بأعمال الناس، وأنه يرى المستقيم بعينيه – البصيرة الروحية وصفاء الرؤيا السماوية – ويضع حارساً لفمه ويرسم طريقاً مستقيماً لخطواته] (الرسالة: ١٤).

ومن صفات هذه المرحلة النهائية – عهد الروح القدس – الهدوء والاستقرار:

[وهذه الأشياء يرتبها الباراقليط فيه **بقياس وإفراز وليس بتشويش بل بهدوء**] (الرسالة:١٤).

وهذا بعينه يقوله أيضاً في عظته السابعة والخمسين:

[فإذا قاوم الإنسانُ الشيطانَ في هذه التجربة الأولى وغلبه فإن الله يعطيه **حرارة متصلة رزينة وبدون اضطراب**. لأن الحرارة

الأولى كانت مندفعة ومشوشة وغير منتظمة، وأما الثانية فهي أفضل وهي تولد الرؤيا].

وكثيراً ما وصف القديس أنطونيوس بعبارات مشرقة حالة الاستقرار الروحي النهائي التي فيها يدخل الإنسان وهو في الجسد في نور الملكوت:

[حينما يتكمل الجسد بجميع الحسنات **ويرجع تحت سلطان الروح القدس، فأنا أقول أن هذا الجسد قد أخذ شيئاً من الجسد المزمع أن يقوم في قيامة الصديقين]** (الرسالة الأولى).

[فإذا ما قبلتموه – الروح الناري العظيم – فإنه:

يكشف لكم **الأسرار العلوية** وأشياءً أخرى لا أستطيع أن أعبر عنها...

**ويجعلكم تبتعدون عن خوف** الناس والوحوش وما يشبه ذلك،

**ويكون لكم فرح سماوي ليلاً ونهاراً،**

**وتكونون في هذا الجسد كمن هو في الملكوت،**

**ولا تطلبون عن أنفسكم فقط بل وعن الآخرين.**

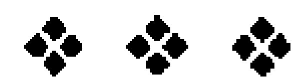
لأن كل مَنْ قَبِلَ هذا الروح لا ينبغي أن يطلب عن ذاته فقط؛ بل وعن الغير] (الرسالة الثامنة).

[فإذا ما نالوا روح الإفراز – الذي هو الكمال – **لا يصير لهم تعب في شيء ولا يجزعون من خوف، ويعزيهم فرح ربنا ليلاً ونهاراً**، وأعماله تصير حلوة عندهم على الدوام في سائر الأوقات، ويعطيهم الإله لأجل ذلك **إعلانات الأسرار العظيمة التي للدهر الآتي** («ويخبركم بالأمور الآتية» يو ١٦: ١٣) **التي**

**لا نستطيع أن نصفها باللسان الجسدي** («ما لم ترَ عين و لم تسمع أذن و لم يخطر على قلب إنسان..أعلنه الله لنا نحن بروحه» ١كو ٢:٩و١٠)] (الرسالة الحادية عشرة).

[ويكشف لهم أسراراً عظيمة ويعطيهم فرحاً وراحة لقلوبهم في هذا العالم ويجعل ليلهم مثل النهار] (الرسالة التاسعة عشرة).

فالفرح السماوي ليلاً ونهاراً، وعدم الخوف من شيء، واستجابة جميع الصلوات، وإعلان الأسرار السماوية، وأشياء أخرى كثيرة لا يستطيع اللسان الجسدي أن يُعبِّر عنها، هذه كلها مُهداة لمن دخل في «عهد الروح القدس»، ورجع «تحت سلطانه»، وصار بذلك وهو في هذا الجسد كمن هو في الملكوت...



إمكانية السقوط:

من الأفكار المألوفة لدى القديس مقاريوس أن الإنسان مهما بلغ من كمال السيرة فهو لا يزال معرضاً للسقوط. لذلك فهو في رسالته إلى أولاده الروحيين (Ad filios) بعد أن وصف «عهد الباراقليط» وكيف أنه يجعل الإنسان «يتجاوز كل الخليقة»، يعود ويقول:

[ولكن إن تجاسرت روحه وقاومت ترتيب الروح القدس نفسه فإن القوة التي وُضعت فيه تنسحب، وبذلك تتولد في قلبه محاربات واضطرابات...ولكن إن تاب وتمسك بوصايا الروح القدس – من جديد – فإن معونة الله تعود إليه. **وحينئذ يفهم الإنسان أنه خير له أن يلتصق با لله في كل حين، وأن حياته هي في الله**] (١٥و١٦).

**فالشيء الوحيد الذي يستطيع أن يحفظ الإنسان على الدوام في كمال شركة الروح القدس هو أن يفهم أنه من ذاته لا يساوي شيئاً، وأن حياته ليست من ذاته بل من الله، وبالتالي «أن يلتصق با لله في كل حين»** كمصدر لحياته الحقيقية. وهذه الحقيقة هي التي أعلنها لنا الرب في حديثه عن الكرمة الحقيقية: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان...اثبتوا فيّ وأنا فيكم...لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو ١٥: ٤و٥).



# الرسالة السابعة للقديس أموناس

(حسب الترجمة اليونانية)

وهي تقابل الرسالة الثالثة عشرة في الترجمة السريانية

١ – أحبائي في الرب، أقرئكم السلام في روح الوداعة الصانع سلاماً، والنافخ رائحة عطرة في نفوس الصديقين. فإن هذا الروح لا يحل في أي نفس، بل فقط في النفوس التي تطهرت بالكلية من عنصرها العتيق، لأنه قدوس ولا يقدر أن يحل في نفس غير طاهرة.

٢ – فإن ربنا لم يعطه للرسل إلا بعد أن تطهروا أولاً. ولذلك قال لهم: «إن ذهبت أرسل لكم روح الحق وهو يعلمكم كل شيء» (يو ١٦:٧و١٣).

فمنذ هابيل وأخنوخ حتى اليوم، هذا الروح يُعطى لنفوس الصديقين التي تطهرت بالكلية. وأما الذي يحل على النفوس الأخرى فليس هو ذاك (الروح) بل هو روح التوبة. فإن روح التوبة يحل على سائر النفوس لأنه يدعوها جميعاً ويغسلها من نجاستها. ومتى أكمل تطهيرها يسلمها للروح القدس. وهذا يسكب فيها، بلا توقف، الحلاوة واللذة الروحانية – كما قال لاوي: من عرف لذة الروح إلا الذين حل فيهم؟.

قليلون هم الذين لم ينالوا ولا حتى روح التوبة،

وأما روح الحق فهو من جيل إلى جيل يحل بالكاد في نفوس قليلة!

٣ – فهذا الروح مثل الجوهرة كثيرة الثمن لا يوجد إلا في نفوس الصديقين الكاملين. فلما أُنعم به على لاوي. رفع صلوات كثيرة لله قائلاً: «أرتل لك يا الله لأنك أنعمت عليَّ بالروح الذي أعطيته لعبيدك».

وجميع الصديقين الذين حل عليهم قد رفعوا لأجل ذلك تشكرات جزيلة لله، لأنه هو الجوهرة التي يحدثنا عنها الإنجيل، التي اشتراها من باع كل أمواله (مت١٣: ٤٥و٤٦). وهو الكنز المخفى في الحقل، والذي أعطى فرحاً عظيماً لمن وجده (مت١٣: ٤٤).

فهو يعلن أسراراً عظيمة للنفوس التى يحل فيها، فالنهار والليل يصيران لها شيئاً واحداً.

ها أنا قد عرفتكم عمل هذا الروح.

٤ – (الفقرة الرابعة ناقصة من المخطوط اليوناني).

٥ – أنتم تعلمون أن التجربة لا تقع على الإنسان ما لم يقبل الروح. ولكنه متى قبل الروح فهو يسلم لإبليس ليجربه.

ولكن من الذي يسلمه؟ هو روح الله.

لأن إبليس لا يستطيع أن يجرب مؤمناً ما لم يسلمه له الله.

٦ – لأنه لما اعتمد ربنا قاده الروح (القدس) إلى البرية ليجرب من إبليس، و لم يقدر إبليس أن يصنع ضده شيئاً.

ثم إن قوة الروح، بعد التجارب، تعطي القديسين نمواً جديداً وقوة أعظم.

٧ – فلنسبح الله إذاً ولنشكره في كل حال، سواء في الكرامة أم في الهوان. لأنه انتشلنا من ظلمة هذا الدهر (أف ٦: ١٢)، وردنا إلى رفعتنا الأولى.

## مصادر هذا البحث:

### ١ - رسائل القديس أنطونيوس العشرون:

وهي محفوظة في ترجمة عربية قديمة، والرسائل السبع الأولى منها محفوظة أيضاً في لغات أخرى قديمة غير العربية مثل اللاتينية والجيورجية (القوقازية) والسريانية (الرسالة الأولى فقط) والقبطية (الرسالة الرابعة فقط ونهاية الثالثة وبداية الخامسة). والعلماء يجمعون على صحة نسبة هذه الرسائل السبع الأولى للقديس أنطونيوس. وقد نُشرت مؤخراً ترجمة إنجليزية لها عن أصولها في هذه اللغات القديمة، وقد نُقلت هذه الترجمة الإنجليزية إلى العربية ونشرها دير القديس أنبا مقار عام ١٩٧٩. أما بقية الرسائل (من الثامنة إلى العشرين) فهي غير محفوظة إلا في اللغة العربية، والعلماء ينسبونها عادة إما للقديس أنطونيوس أو لتلميذه المباشر أموناس (وذلك بسبب مشابهتها الكبيرة لرسائل أموناس المثبتة التي سنتكلم عنها بعد قليل). غير أن العالم Garitte يُرجِّح أن هذه الرسائل (من الثامنة إلى العشرين) هي أيضاً للقديس أنطونيوس شخصياً كالسبع الأولى تماماً لأن كلاً من الأنبا شنودة رئيس المتوحدين وتلميذه ويصا يستشهد بأجزاء طويلة من هذه الرسائل ومن الرسائل السبع الأولى أيضاً وينسبها على حد سواء للقديس أنطونيوس. انظر: Garitte, A.: À Propos des Lettres de S. Antoine (مجلة Le Muséon ١٣٩ص٢٠).وقد قام دير Bellfontaine عام ١٩٩٣ بنشر ترجمة فرنسية للرسائل العشرين في مجموعة Spiritualité Orientale الجزء ٥٧.

كذلك يشهد عن قدم هذه الرسائل العشرين وعن وجود أصل قبطي لها أبو البركات ابن كبر (القرن الثاني عشر والثالث عشر) إذ يقول في الفصل السابع من كتابه «مصباح الظلمة» أنه توجد عشرون رسالة للقديس أنطونيوس محفوظة باللغة القبطية في ديره بالبرية و لم تترجم بعد إلى العربية (أي لم تصل بعد ترجمتها العربية إلى أبي البركات).

وجدير بالذكر أن النص العربي للرسائل العشرين (وقد طُبع سنة ١٨٩٩ في كتاب «روضة النفوس في رسائل القديس أنطونيوس») قد ترجم من اللغة القبطية مباشرة في أواخر سنة ٧٨٦ للشهداء (١١٧٠ ميلادية) وذلك في مخطوطين قبطيين «فما لم يكن واضحاً في أحدهما قد ترجم من الآخر»، كما يخبرنا عن ذلك مخطوط عربي رقم ٩٣ بالمتحف القبطي (٨٨ طقوس)، انظر:

G. Graff, catalogue des manuscrits arabes Chretiens conserves au Caire

والترجمة العربية للرسائل هي الوحيدة التي فيها احتفظت الرسائل الثالثة والرابعة والخامسة بنفس الرقم الذي لها في الأصل القبطي الجزئي المتبقي حتى الآن. والنص العربي لهذه الرسائل الثلاث (٣و٤و٥) شديد التطابق لأصله القبطي المتبقي وذلك بشهادة العالم Garitte. ولذلك اعتمدنا على هذه الترجمة العربية.

ولهذه الأسباب مجتمعة لم نفرق في هذا البحث بين الرسائل السبع الأولى وبقية الرسائل العشرين بل اعتبرناها جميعاً للقديس أنطونيوس على حد سواء.

٢ – **رسائل أموناس**: وهي سبع رسائل محفوظة باللغة اليونانية في مجموعة الباترولوجيا الشرقية Patrologia Orientalis II ص٤٣٢ – ٤٥٤.

**٣ – رســالة أنبــا مقــار إلى أولاده الروحيــين:** Ad Filios وقد نشرت بالعربيـة لأول مرة في كتـاب: «الرهبنـة القبطيـة في عصـر القديـس أنبــا مقــار»، لـلأب متـى المسـكين، ص ١٢١ – ١٢٥.

**٤ – العظـة السـابعة والخمسـون للقديـس أنبـا مقـار:** وقـد نشـرت في نهايـة كتـاب «الـروح القـدس وعملـه داخـل النفـس»، لـلأب متـى المسـكين، ص ١٠٠ – ١٠٢ وهـي قريبـة جداً في معانيهـا مـن رسـائل القديسـيْن أنطونيـوس وتلميـذه أمونـاس، مما يثبـت أصالتهـا وأنهـا ترجـع إلى الجيـل الأول الرهبـاني.





القديسان أنبا أنطونيوس وأنبا بولا (فريسكو قديم من هيكل يوحنا المعمدان دير القديس أنبا مقار)



الثمن ٧٥ قرشاً

(١٤٥)